متواطئون لا «تجار أوهام»

عريب الرنتاوي

نقرأ لكتاب وسياسيين عرب، أن «ضغوط البعض من حكامنا» نجحت في إقناع إدارة ترامب بإدخال تعديلات «جوهرية» على مبادرته المعروفة باسم «صفقة القرن»، بل ويذهب الأمر ببعضهم حد القول، إن هذه الإدارة «الشعبوية»، الأكثر يمينية، اقتنعت أخيراً، بأن قرارها الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل ونقل سفارة بلادها من تل أبيب إليها، كان «كارثة محدقة» بحق، وأنها بصدد التراجع المتدرج عن هذا القرار.

أما الخلاصة/النصيحة التي «يتقيأ» بها هؤلاء في وجه الفلسطينيين، فهي «التحلي بالحكمة» وتفادي «ركوب الرؤوس»، والتعامل بـ«واقعية» مع حقيقة أن 99% من أوراق ما زالت بيد أميركا.

هؤلاء، أفراد وحكومات، ليسوا «تجار أوهام»، فلم يعد هناك من أوهام أصلاً للمتاجرة بها، بعد تكشفت المواقف وانبلجت الوقائع العنيدة التي تفقأ العيون.

هؤلاء جزء لا يتجزأ من «الفيالق الإعلامية» المرتبطة بمحور عربي نافذ، ربط مصيره ورهاناته جميعها بواشنطن، بعد أن جعل من إيران، وليس إسرائيل، العدو الأول والأخير للأمة، والتهديد الساحق الماحق لأمنها واستقرارها، حتى أنهم ما عادوا يخجلون من القول، إن ما يربطهم بإسرائيل هو شبكة عريضة من المصالح المشتركة و"عدو واحد مشترك"، في إشارة إلى "هتلر العصر"، مرشد الثورة الإسلامية في إيران.

هؤلاء هم الذراع الإعلامية الأيديولوجية المتهافتة، لمحور قرر الانخراط في مشروع تصفية القضية الفلسطينية، بعد أن تساوق مع ترامب ومشروع "أبو ديس" بديلاً عن القدس، كعاصمة لدويلة غزة وبقايا الضفة الغربية. وبعد أن تبنى بالكامل نص "وعد بلفور" ومراميه حول الوطن القومي لليهود في

فلسطين... وأخذ يردد من دون تحفظ، الرواية الصهيونية – التوراتية، حول حق الشعب اليهودي في بناء دولته على أرض آبائه وأجداده ... هؤلاء ضاقوا ذرعاً بقضية فلسطين ونضال شعبها، فهم لا يحتاجون من يذكرهم صبح مساء، بعجزهم وتقصيرهم، بل وبتواطؤهم وتآمرهم على ما كان يوماً "قضية الأمة المركزية الأولى".

تخشى الفيالق الإعلامية لهذا المحور، الإقرار بالحقيقة، والاعتراف بأن واشنطن هي من يتولى نيابة عن إسرائيل، مشروع تصفية القضية الفلسطينية... وأنها هي وحدها، من يرى في أطفال غزة وشبانها العزّل، خطراً يهدد أمن الإقليم واستقراره، وأنها هي وحدها من يحمي إسرائيل في مجلس الأمن وخارجه.

لأنهم إن فعلوا ذلك، أعطوا صدقية لرواية وسرديات المحاور الأخرى المنافسة في الإقليم، بينها المحوران التركي القطري، والإيراني السوري... هم يخشون الإقرار بان طريق الرهان على واشنطن مسدود وغير نافذ، لأنهم لا يريدون مواجهة السؤال الآتي:

وماذا عن «الخطة ب»، وكيف يمكن استنقاذ ما تبقى من حقوق شعب فلسطين والأمة والمسلمين والمسيحيين في القدس والأقصى والمقدسات، دع عنك فلسطين برمتها.

لذلك، لن يكف هؤلاء عن ترويج الأكاذيب، عن سبق الترصد والإصرار... هم يكذبون، ويعرفون أنهم يكذبون، ولكن لا خيار آخر أمامهم، سوى المضي في زرع الأباطيل وترويج الأكاذيب، طالما أنهم قرروا الاصطفاف كالقطيع وراء نهج سياسي تفريطي يسعى في قيادة الإقليم... وهم يفعلون ذلك، غالباً، بوصفهم من «المؤلفة جيوبهم»، أو بفعل انحيازات مذهبية مريضة... تعددت الدوافع والنتيجة واحدة.

- عريب الرنتاوي كاتب صحفي أردني.

المصدر | الدستور الأردنية